ربِّ يسّر وأعن

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على النبيّ الأميّ وعلى آله وصحبه أجمعين..

همّ الدعوة في القلب يأسر صاحبه، وهم بيان الحقيقة سطوة تملك على المرء مشاعره، فهو على الدوام يتقلب مع كلّ خبر، ويطوف مع كل قول، وهو قبل أن يكشف للناس عقله بمقاله أو بكتابه إنما هو يصارع القول والحرف في نفسه ليختبر صدقه من كذبه، حقيقته من خداعه، فهو موصول القلق، دائم التطلّع لليقين والاطمئنان، وهي حال أصحاب التشوف وطلاب المعالي، وأما أولئك الراكدون على ما هم عليه، الذين استقرت نفوسهم على الحال الذي هم فيه، فهم ظالمون للحقيقة مع ظلمهم لأنفسهم، لأنه ما من درجة إلا وهناك فوقها درجات وصدق من قال:

نحـــو الأصـــيل أشـــدّ وجـــه حصـــاني ... وإلى التطلّـــــع دائمـــــاً أســـــفاري

ومـــن الزمـــان الغـــرّ أركـــض هـــاربا ... لا عشـــت إن قـــاد الـــذليل إســـاري

وغلـــى جنـــان الخلـــد دعـــوة أحمـــد ... خـــبر اليقـــين ولا حـــديث فطـــاري

(والفطاري هو الذي لا خير فيه ولا شر).

ونحن في هذه المجلة وورقاتها القليلة محاطون بهموم كثيرة، أعلاها هو أن نصدق مع الحرف الذي نكتبه وأن نفي له حقه علينا، وحقّ الكلمة في الحياة أعظم الحقوق وأجلّها وأرفعها، فالمستهين بها مستهين بالحياة نفسها، محتقر لوجوده هو قبل وجود الآخرين..

وهم الكلمة، والخوف منها ليس بشيء قبل إخراجها للناس، وإنما الهم الأكبر والخوف الأعظم بعد خروجها، لأنها قبل خروجها هي مأسورة لك منقادة منك، لكن بعد خروجها هي التي تملكك وأنت تنقاد لها. فيا خيبة وخسارة أولئك الذين يفرحون بخروج كلماتهم للناس، ويا لجهالة أولئك الذين يرقصون فرحاً حين يرون أسماءهم على طرة المقالات والكتب، فهم لا يعرفون تبعة ذلك كله، ولكن عذر غيرهم في البيان والإفصاح والقول والكتابة ــ مع علمهم بعظم ذلك كله ــ أنهم يعيشون هم البيان، ويرتفقون في جنباتهم شعور الواجب الملقى على عاتقهم بوجوب البيان والدعوة، فهم يعيشون بين الخوف من الكلمة التي أسرتهم بعد خروجها، وحقها عليهم بالصدق والوفاء، وبين هم البيان وإشاعة الخير في الناس، فهذا هو عذرهم وهذه مقاماتهم مع أنفسهم.

* * *

في واقعنا: آلهة وأوثان باطلة صنعها أهلها بأيديهم وبأوهامهم، ثم عكفوا على مصنوعاتهم يمدونها من مالهم وجهدهم وعرقهم، كذبوا وكذبوا وكذبوا ثم صدّقوا انفسهم، فحار الكذب على صاحبه وأفسد عليه عقله ومزاجه.

في حياتنا: أوثان إبليسية، ما كان لها أن ينفخ فيها روح الكبر الشيطاني، ونوعة جبروت الآلهة الباطلة إلا بنفخ عبادها الذين أفرغوا من أرواحهم ودمائهم وأموالهم فيها.

فالفرق بين الربّ الحقيقي وبين الوثن الكاذب؛ أن الرب الحقيقي يخلق عباده، والرب الكاذب يخلقه عابده. ولذلك فإنّ الصراع إنما هو مع العابد المشرك، فهو الذي صنع إلهه وهو الذي يعبده وهو الذي يدافع عنه، وهو الذي يحرق في معبده البخور، ويريق على أعتاب روحه ودمه، وأما الإله الكاذب فهو أدرى بنفسه أنه يكذب على الناس وعلى نفسه، بل ما كان له أن يكذب على الناس حتى كذب الناس على أنفسهم فيه، ثم لعله بعد ذلك نسي نفسه أنه أعجز من أن يملك نفسه لا أن يملك الآخرين.

فمشكلتنا ليست مع من تأله كذباً فقط، ولو بقيت المعركة معه لكانت سريعة الحسم، لكن عظمت المشكلة وطال أمدها حين صار للإله الباطل عبّاد وسدنة.. حينئذ كان لا بدّ للمعركة أن تزداد ضراوة وتشتدّ الحدق حمرة ويحمى الوطيس.

ونحن مع هؤلاء العباد في شغل وهم نفسي داخلي، نحن بين همِّ هدايتهم، وإخراجهم من سماديرهم وأوهامهم الذاتية، وتعريفهم بالحق الغائب عنهم بسبب سكرتهم، وبين هم إزالتهم لأنه لا يمكن أن تسقط الآلهة الباطلة إلا بسقوط آخر رجل فيهم.

إنّ بيننا وبين سقوط الأوثان الكبيرة مفاوز، وقفارا، دونها تقطع الأعناق، ولا يمكن الوصول إليها إلى على جثث عابديهم، فماذا صنع هؤلاء العبّادّ؟!! لا يسمحون لنا بتطبيبهم، ولا يأذنون لنا بالكلمة من الرحمة ليفيقوا من غفوتهم، ويريدون قطع أيدينا قبل أن نلوح بثيابنا لننذرهم الجيش القادم إليهم، والمصير الذي يصير إليه كل الناس، أنهرب حينئذ تاركين وراءنا قومنا تعبث بهم الشياطين، وتتلعب بهم الأبالسة، وتمتطي أعناقهم سعالي الإنس والجن؟! أم لا بدّ من مجابهة الواقع، والدفاع عن حقنا بأن نعرف الناس الفرق بين الإله الباطل والإله الحق، وأن نسعى بكل ما أوتينا من قوة لإخراج الناس من عبادة من صنعوه إلى عبادة من خلقهم؟ يا قومنا ماذا نصنع؟ أنرقق لعابد الوثن الكلمة لأننا من أجله قمنا، أن نريش الكلمة لأن حربه علينا وعلى الأمة كبيرة؟.

هذا همّ ثانٍ نعيشه مع كلماتنا التي تملك علينا مشاعرنا لنخرجها، وتملكنا بعد إخراجها.

* * *

في واقعنا فساد كبير في الأفكار، وفي واقعنا ذهاب للحقوق.

كان الناس يقولون: هب أن بيتاً كبيراً اضطرمت فيه النيران، وكان سبب النيران جهل أهل البيت بأصول الحياة، وطرائق إشعال النيران للطعام والتدفئة.. فماذا ستصنع في وقتك ولحظتك؟! أتشتغل بإطعام أهل البيت وإيجاد المأوى لهم، أم بتغيير أنماط تفكيرهم في استخدام أدوات الحياةّ؟

وكان الجواب: أطعمني أولاً، المأوى أولاً، إطفاء النار أولاً، وأما العقل والعلم والفهم وأنماط التفكير ومنهج الحياة الصحيح فمعنا بعد ذلك من الزمن الكثير.. أجلوه.

فماذا كان؟!!

ضاع البيت، وفقدنا المأوى، واشتدّ الجوع، وبليت الثياب، وفقدنا العلم والعقل.

قالوا: الطريق إلى الإسلام يمرّ عبر فلسطين، ففلسطين أولاً.

قالوا: الطريق إلى الإسلام يمرّ عبر الوحدة الوطنية، فالوحدة أولاً.

قالوا: الطريق إلى الإسلام يمرّ عبر حاجاتنا البشرية: طعام، كساء، مأوى..، فحاجاتنا أولاً.

قالوا: الطريق إلى الإسلام يمر عبر الإصلاح السياسي، فالإصلاح السياسي أولاً.

هكذا مرروا علينا أفكارهم تحت دعوى _الهدف الوسيط_ وكانت النتيجة: فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع.

في أفغانستان قالوا: التحرير أولاً، القتال أولاً.. كمموا الأفواه إياكم أن تشتغلوا بإصلاح أي عيب، أو بنقد أي ظاهرة، أو بكشف أي نقيصة، أو بهدم أي وثن، أو بتعليم أي حرف، كل هذا سيأتي مستقبلاً...

وشاءت إرادة الله أن لا يطيع كل الناس هذا التوجه، فبنيت المدراس، وأهل الشباب (والحقيقة القليل من الشباب)، وكان الصراع حول الجيل القادم فيمن سيكسبه: أهل الإسلام بالعلم والدين، أم اللقطاء الذين تلقفتهم معاهد الكفر لتربيتهم على عينها، وإرجاعهم إلينا يملؤون شواغر القرار والدراسة؟..

والمعركة ستطول وسينتصر من يحسن القرار والتوجه.

في داخلنا هم: هم الحدث اليومي، وذهاب الحقوق، ويشغل بالنا تغير الأرض بكفر أعداء الله، ويقض مضاجعنا أن يعيش اليهود سادة في فلسطين، وأن تتنازع الأمة نزاع أهل الجاهلية، وأن تسرق خيرات

بلادنا، ويجوع أهلونا، وتعرى أعراضنا، وأن يلعب المرتدون الطواغيت بمقدرات أمتنا. وهذا لو شغلنا به لملأ علينا الزمان بكل لحظاته. وهناك هم أكبر من ذلك كله: هو أن تعرف الأمة الحق، وأن تبصر النور، وأن تكشف الصواب. ولو خيرنا بين إطعام رجل وبين أن يهتدي هذا الرجل لاخترنا له الهداية. ذلك لأننا نملك يقيناً علمناه من دين الله تعالى، ومن قراءة التاريخ أن الحق يأتي بالأرض، وأن الهداية تأتي بالملك وعزة الدنيا والآخرة.

قال تعالى: {وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شيئاً} [سورة النور:٥٥].

ولذلك لا نقول: المنهاج أولاً، ومن اتهمنا بأننا نقول هذا فقد اتهمنا بباطل، بل نقول كما قال أئمتنا: ــالإيمان أولاًــ والإيمان قول وعمل ونية وسنة ــومن لم يفهم هذه الكلمات فليتعلم ثمّ.. هداه الله.

* * *

إن الصراع بين الحق والباطل في هذه الآونة قد اشتدّ، وارتفعت درجة غليانه، وإنه من القول الباطل والعقل الفاسد أن ندعو الشباب المسلم للتريث أو للتراجع، بل دورنا هو أن نزيد درجة الغليان وأن نرفع هذه المواجهة إلى أقصى مراتبها، فلا حياة للأمة إلا بمزيد من الجهاد، ومزيد من الدم، ومزيد من الوقود، فلا تراجع، ولا تريث، ولا توقف، بل الواقع لا يسمح بذلك، وواجب الدين لا يقبل ذبك منا، فلا عزة لنا إلا بامتلاء قلوبنا بحب الشهادة، والرغبة بالدار الآخرة..

ورقاتنا هذه وإن كانت في الخلف، فإنما هي لحماية تلك الطلائع الإيمانية من خيانة أصحاب المصالح الموهومة، وأفكار أصحاب السياسة الشيطانية الخبيثة من أن يوجدوا في عقول شبابنا وتجمعاتنا ثغرات سبيل المجرمين، فينحرف السبيل ونقع فيما وقع فيه أهل الجهالة من أهل البدع.

إن مسيرة الجهاد بحاجة إلى الصيانة في كل لحظة، وإلى المراجعة بعد كل خطوة، ومما يجب علينا أن نتعلمه أن النقد الذاتي هو أساس ارتفاع العمل بصواب وأمان، وما من ظرف إلا وفيه ما يستحق المراجعة والنظر.

إن كان لدينا من هم في هذا الباب فهو هم دفع المسيرة إلى الأمام بقوة أكبر، وبتر تلبيس الشيطان بالتردد أو التراجع، لكن مع هم الرشاد في العمل، لئلا ينقلب الإسراع المشروع إلى سعار مذموم، ولئلا ينقلب الوعي، وإحسان النظر إلى ترك العمل، أو تثبيطه وإضعافه.

لقد كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد»..

«هاتان الكلمتان هما جماع الفلاح، وما أتي العبد إلا من تضييعهما أو تضييع أحدها، فما أتي أحد إلا من باب العجلة والطيش، واستفزاز البدعات له، أو من باب التهاون والتماوت وتضييع الفرصة بعد مواتها، فإذا حصل الثبات أولاً والعزيمة ثانياً أفلح كل الفلاح»[1].

وقد قيل: فإذا وجد القائد نفسه في أرض ميدان تحيط به مواطن الخطر والهلاك، فالإستماتة في القتال واجبة والحالة هذه، للخروج من المأزق الذي خلفته طبيعة ها الميدان.

* * *

-هل نحن نشكو!!؟

الشكوى ضعف وهروب..

ومن ملأ وقته بالشكوى فقد فقد ملأه بالباطل.

-هل نحن نجرب!!؟

نعوذ بالله أن نجعل عقول الناس وحياتهم مختبر تجربة، فالحياة أقصر من قضائها في التجربة..

ثم كيف نجرب ورحمة الله قد سبقت ببيان الهداية لنا في كلّ مسألة؟!

-هل نحن قلقون؟

قلقنا هو لأننا نبصر، ونحبّ لكل الناس نعمة البصر.

قلقنا لأننا نتعلم، ونحبّ لكل الناس أن يتعلموا.

قلقنا لأننا نخاف الحساب يوم القيامة، ونخشى أن نضيّع الأمانة.

قلقنا لأننا نحاول أن تبصر الحقيقة كاملة في كلماتنا.

قلقنا لأننا نخاف أن تسقط علينا ما تريد، لا ما نريد.

قلقنا لأننا نخاف أن يُلبس غيرنا مقصدنا عليك فتقرأ حروفنا مقلوبة فتعجم المهمل وتحرك الساكن.

---

[1] من كلام ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة.

فهل هذا قلق ممدوح؟!

أظنّ أنك ستقول: إي نعم.

* * *

- هل أوراقنا جاءت لتقييدك حين قلنا لك: الإيمان أولاً؟

الإيمان يا أخي يقول لك كيف تفك القيد الذي غلظته الجهالة في أعناق الشباب المسلم، وكيف الأعراف البالية سواء كانت فكرية أو اجتماعية.

الإيمان يعلمك كيف تفك قيد فهم أهل البدع والضلالات، ويجعلك حراً في عالم أصحاب رسول الله ﷺ.

الإيمان يعلمك كيف تمتلك عقلك وتسلمه لأمر الله ورسوله، وينهاك عن تأجيره لغيرك ليفكر عنك ويخطط لك.

الإيمان ليس لتقييدك إنما للعلم والجهاد.

والحمد لله ربّ العالمين